سينما

«مقصورة رقم 6»

دراما مُثيرة ومؤثّرة

في «مقصورة رقم 6»، نقدٌ سينمائي واضح لأحوال اجتماع وثقافة وفنون وسلوك خاصة كلّها بالطبقة المخملية، مع اهتمام كبير بالطبقات الأخرى

عبد الكريم قادري

يواجه الفيلم، عند صناعته، عقباتٍ كثيرة، تُقسم إلى قسمين: الأول يتعلّق بتفاصيل الصناعة وإفرازاتها المتنوّعة، وهذا يتكفّل به عادة المنتج وفريقه. الثاني يختصّ بالفكري والفلسفي، ما يُعطي الفيلم قيمته الفنية وتميّزه واتجاهه، بعد أنْ ينفث المخرج فيه روحه الخلّاقة، واضعاً بَصْمته ليحيا ويستمرّ، انطلاقاً من خيارات واسعة تتوفّر لديه عند معالجته السيناريو.

لكنْ، في «مقصورة رقم 6» (2021) . الفائز بالجائزة الكبرى في الدورة الـ74 (6 . 17 يوليو/تموز 2021) لمهرجان «كانّ» السينمائي، مناصفة مع «بطل» الإيراني أصغر فرهادي . كانت خيارات الفنلندي يوهو كوسْمانِنْ قليلة جداً، بعد استيلاء غالبية المشاهد الداخلية على الحيّز المكاني للفيلم، إذ حوصرت في مقصورة قطار، ورواق ومطعم، وموجودات أخرى، وشقّة ظهرت في البداية، ومنزل قديم ذهب إليه البطلان في مدينة روسية. المشاهد الخارجية قليلة، تمثّلت في محطات توقّف القطار، والمدينة التي خطّطت البطلة لزيارتها. مناظر ذات لونٍ واحد، عكسه بياض الثلج.

رغم هذه المناظر البصرية المحدودة، ومساحات الأحداث الضيقة، ولَّد كوسْمانِنْ دراما قوية، مؤثّثة بالإثارة والترقّب. معطيات فنية شحنت المتلقّي وغذّت فضوله، للوقوف على كل تفاصيل الفيلم، والذهاب في فعل المشاهدة إلى النهاية، من دون ملل. هذا عائد، أولاً، إلى رؤى المخرج ولمسته، وطريقة معالجته، وتعامله مع مقتضيات القصّة اللطيفة والسيناريو، الذي كتبه مع أندريس فيلدمانيس وليفيا أولمان.

ركّز يوهو كوسْمانِنْ كثيراً على المشاعر الإنسانية، التي أفرزتها أحداث غير مُتوقّعة، إضافة إلى ما يُشغل عقل الإنسان، الذي يخزّن معطيات حياتية كثيرة، يعود لها دائماً ليُصدر أحكامه مع كلّ موقف. هذه ألاعيب سينمائية ذكية، استغلها كوسْمانِنْ ليُولِّد بها المشاعر والعاطفة، لاستمرار دراما الفيلم. مثلٌ على ذلك: وضع المخرج شاباً طائشاً وعصابياً ومُتهوّراً وغير متعلّم، ذي ملامح قوية ووجه قاس، يُدعى ليوها (يوري بوريسوف)، في المقصورة، كشريكٍ مع الشابة الحالمة والمتطلّعة والمتعلّمة، لورا (سايْدِ هارلا)، التي تطارد حلمها، مُنتشية بإفرازات نفسية، نتيجة علاقة عاطفية بينها وبين إيرينا (دينارا دْرَكاراوفا)، المنتمية إلى الطبقة المثقّفة الروسية، حتّى أنّها أصبحت تحسّ بانتمائها إلى هذا العالم، وبأنّها صارت جزءاً منه.

هذا التناقض بينهما كافٍ لصنع الدراما. أكثر من هذا، شَحَن كوسْمانِنْ المتلقّي وحرّضه على كره الشاب، وعلى تكوين صُور سلبية عنه، بدفعه إلى ارتكاب تصرّفات طائشة، مُظهراً إياه بأنّه يفْرط في السُكر، وتصدر منه ألفاظ غير محترمة بحقّ لورا. لذا، بات المُشاهد يساند لورا، مقارنة بليوها، فتصرّفاته تُشكّل خطراً عليها بالنسبة إليه. أكثر من هذا، بات يُتوقّع بقيامه بتصرّف أحمق، أو بارتكاب جريمة بحقّها. هكذا، نجح كوسْمانِنْ وكاتبا السيناريو في توجيه المُشاهد، وتكوين صورة سلوكية أرادوها، لأنّ هذا التصوّر يُحدث صدمة فيما بعد، ويكسر أفق التلقّي، الذي يكون أثره أعمق وأجمل، ولا يزول بسهولة.

هذا حصل في نهاية «مقصورة رقم 6»، إذ تبدّلت العواطف، وتغيّرت القراءات والتصوّرات السابقة. لورا محت ماضيها العاطفي تماماً، لأنّها باتت في العالم الحقيقي، بعيداً عن الزيف والمثالية اللذين رأتهما في الطبقة المثقّفة، التي (الطبقة نفسها) تعاملت معها كشخص طارئ، أخذت منها ما أرادته، ثم تخلّت عنها لاحقاً، انطلاقاً من تغليب الرغبة على المشاعر الإنسانية. هكذا تسقط المُثل العليا التي تنادي بها هذه الطبقة، من خلال كتب يُصدرها منتمون إليها، وشعارات يرفعونها.

رسَخ يوهو كوسْمانِنْ هذا المفهوم أكثر، عندما استضافت لورا عازفاً على القيثارة في مقصورتها، لم يجد مكاناً له في القطار، الذي استقلّه في إحدى المحطّات. هذا أثار مشاعر شريكها، الذي فضّلت العازف عليه، لكونه فناناً، يعزف ويغنّي معها أغاني رومانسية فنلندية جميلة وحالمة، كشف بفضلها عن كونه فناناً رقيقاً، ينتمي إلى عالم مثاليّ جداً. لكنّه يظهر، في النهاية، على حقيقته، بسرقته كاميرا لورا، واختفائه من القطار. والكاميرا تحتوي على ذاكرةٍ من الصُور والفيديوهات، التي توثّق محطّات مهمّة في حياة لورا. كأنّه، بفعلته تلك، قضى على جزءٍ من ذاكرتها، من أجل مبلغ مالي قليل (ثمن الكاميرا). أي أنّ الفنّ والرومانسية والغناء الجميل سقطت كلّها أمام مظهر مادي بسيط.

في المقابل، ظهرت شهامة ليوها، الذي نشأت بينه وبين لورا علاقة قوية، بعد أنْ فهم أحدهما الآخر. مثلٌ أول: ليوها باع ساعته وأشياء له، للاحتفال معها في مطعم القطار. مثلٌ ثان: وصلت لورا إلى «مومانسك» لتحقيق حلمها، وهذا مُبتغى رحلتها، المستمرّة أياماً عدّة في القطار، بهدف اكتشاف نقوش صخرية فيها. لكنّ الثلوج قطعت الطرق المؤدّية إليها، فاتصلت به هاتفياً. عندها، جاء مُسرعاً، تاركاً عمله في المنجم.

سايْدِ هارلا («كانّ» 2021): حرفية أداء في «مقصورة رقم 6» (جون ماكدوغال/فرانس برس)

ألاعيب سينمائية ذكية تولّد مشاعر لاستمرار الدراما

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عن بيروت وعتمتها الخانقة وسينماها الغائبة

نديم جرجوره

يُردِّد ساهرون في ليل بيروت، المثقل نهارها أيضاً بعتمةٍ خانقة، كلاماً عن سينما عاجزة عن اللحاق بالانهيار اللبناني السريع. يقولون إنّ المدينة منتهية، والخراب قائم، والفراغ سيّد اللحظات والمُقبل منها. يؤكّدون قناعةً لهم بأنّ الجحيم حاصلٌ، والتوقّعات غائبة، والانتظار معقودٌ على موتٍ، لن يهتمّوا بشكله وكيفية حضوره وموعده. يُدرك هؤلاء أنّ صالات سينمائية لبنانية عدّة تفتح أبوابها، يومياً، لراغبين في مُشاهدة أفلام حديثة الإنتاج، قلّة منها غير أميركية، والأقلّ من القلّة غير تجاري أو استهلاكي. لكنّهم يعرفون أنّ السينما عاجزة عن تخفيف ثقل العتمة الخانقة، كمعرفتهم بأنْ لا سينما قادرة على ابتكار صُور وحالاتٍ ومساراتٍ وجماليات تتساوى مع الانهيار والجفاف والضحالة والوقاحة، التي تعيشها المدينة يومياً، والتي يختبرون تداعياتها عليهم وعلى آخرين، كلّ لحظة.

كلّ كلامٍ لهم عن السينما يبدأ من وقائع تُثير نقمة ونُفوراً وكراهية، فوقائع عدّة يصعب على عقلٍ يدّعي توازناً، رغم كلّ شيء، أنْ يُصدِّق حدوثه، مع أنّ التصديق واردٌ سريعاً، فالبلد أعجوبة خراب وموتٍ وفوضى ونهب غير حاصلة في تاريخ البشرية. وقائعُ يستحيل على شعورٍ، يحاول إيجاد سندٍ له كي لا يتشتّت ويُشتِّت، أنْ يُتقِن مصالحة معها، قبل أنْ ينتبه سريعاً إلى أنّ الحاصل طبيعي، فهذا البلد اسمه لبنان، وكلّ شيءٍ سيئ في العالم يحدث فيه، من دون تردُّد أو مواربة أو احتيال أو افتراء، لأنّ الوضوح سمة ناهبين وقاتلين ومتسلّطين وقامعين، تماماً كوضوح خانعين لهم وصامتين على أفعالهم وراضين بهم.

يسأل ساهرون في ليل بيروت، المثقل نهارها أيضاً بعتمةٍ خانقةٍ، عن حضور السينما في هذا الديكور الطبيعي، الذي يحتضن كلّ شيءٍ غير طبيعي، مع أنّ غير الطبيعي يُصبح، مع الغالبية الساحقة من اللبنانيين واللبنانيات، أكثر طبيعية من كلّ طبيعي عادي. ديكور يصلح لأجمل فيلم، ولأبرع أداء، ولأعمق نصّ، ولأهمّ معالجةٍ، ولأتقن فنيّات. لكنّ ثقل الواقع أكبر من أنْ تلتقطه عدسة أو عين أو روح أو إحساس. ثقل يقول، كلّ لحظة، إنّ وقائع العيش اليومي في المدينة . المثقل نهارها وليلها بعتمةٍ خانقة، والعتمة الخانقة تُشبهها، فكلّ واحدة منهما مرآة الأخرى. تحول دون تمكّن عدسةٍ أو عين أو روح أو إحساس من ولوج تلك المتاهة اللبنانيّة، بكوابيسها المتفشية نهاراً قبل الليل. أي مخرج يقدر على التقاط شيءٍ من أسوأ خراب، وأصدق نهب، وأوضح جُرم؟ أي مخرجة تتمكّن من اختراق محرّماتٍ، يُسيّجها ناهبون وقاتلون ومتسيّدون وقامعون بألف وقاحةٍ وبندقية وإجرام؟ أي متعةٍ تصنعها سينما، يتوق إليها ناجون من عتمةٍ خانقةٍ، وإنْ بألف انكسار وخيبة وانزواء؟ أي صالةٍ تمنح شيئاً من سكينةٍ، لدقائق معدودة، والسكينة تُنحر في كلّ زاوية، وفي كلّ حيّز، وفي كلّ رغبةٍ، وفي كلّ حقّ، وفي كلّ استسلام أيضاً؟

قبيل منتصف كلّ ليلة، أو بعده بقليل، يغادر ساهرون في ليل بيروت، المثقل نهارها أيضاً بعتمةٍ خانقة. يغادرون من دون أنْ يقولوا «إلى اللقاء»، فما من شيءٍ أو أحد يضمن لقاءً تالياً. ما من فيلم يُؤكّد عودة، وما من صالةٍ تُحرّض عليها، وما من حبٍّ يضمن تحقيقها. العتمة فقط تقول بصمتٍ ما يشعر به هؤلاء، في سهرتهم، وفي لحظة مغادرتهم أمكنة قليلة لسهرٍ بائس.

السينما عاجزة عن تخفيف ثقل العتمة الخانقة في بيروت

ليل بيروت (2021) المثقل نهارها أيضاً بعتمة خانقة (سام تارلينغ/Getty)

أقوالهم

«البحر أمامكم» فيلم وجودي بامتياز. لسان حال بلد وناس. استحالة العيش واضحة في كلّ لقطة. تعود جنى (منال عيسى، الصورة/ Getty) من الغربة، فتقصد بيت أهلها، وتمضي ليلها على الكنبة، ثم تحاول إيجاد موطئ قدم لها في بلد تشعر حياله بالحيرة والغرابة. في جوّ مضغوط يُنذر بانفجار ما، نتابع تفاصيل يومية تكاد تكون بلا أهمية، لولا قدرة المخرج (إيلي داغر) على الارتقاء بها.

هوفيك حبشيان

يحاول «زوجة حفّار القبور» لخضر آيدروس أحمد (الصورة) الموازنة بين بؤس حكايته والأمل بنهاية رحيمة لها. في محاولته تلك، يحافظ على لمسة حيوية، ولا يغوص في بورنوغرافيا الفقر. هناك يأس كثير، لكنّ الفيلم يؤكّد دائماً القوّة الشافية للحبّ. هذا ما تبدو عليه أفضل القصص والحكايات الخرافية. هناك ثيمة عالمية فيه: الحبّ والاهتمام.

محمد صبحي

أفعالهم

Un Garcon Nomme Noel لجيل كِنان، تمثيل سالي هاوكنز (الصورة): في فنلندا، في الأعوام القليلة الأخيرة من القرن الـ18، يبدأ الشاب نيكولا، المُسمّى نويل (Noel) منذ طفولته، رحلة البحث عن والده، الذي غادر بلدته تلك متوجّهاً إلى القرية الأسطورية لشعب Elfes، القادرين وحدهم على إعادة السحر إلى العالم.

Army Of Thieves لماتياس شْفايغْهوفر إخراجاً وتمثيلاً، مع ناتالي إيمانويل (الصورة): موظّف استقبال في مصرفٍ مفتون بالأسطورة الساحرة للخزائن الأسطورية الـ4 التي ابتكرها صانع الأقفال المشهور هانز فاغنر، استناداً إلى أوبرا «حلقة نيبولونغ»، لريتشارد فاغنر. لكن المشكلة أنّ كلّ خزنة باتت في بلدٍ، وعلى الموظّف البحث عنها في وقتٍ محدّد.

أخبار

◆ ذكرت وكالة «فرانس برس» أنّ الفيلم الصيني «معركة بحيرة تشانغجين»، الذي يتناول الحرب الكورية (1950 . 1953)، «حطّم الرقم القياسي للإيرادات في الدولة الآسيوية العملاقة»، بينما أوقفت السلطات الصينية صحافياً «انتقد مشاركة بلده في هذا النزاع». بهذا، أطاح الفيلم، الذي بدأ عرضه بمناسبة العيد الوطني الصيني (1 أكتوبر/تشرين الأول 2021)، عن الصدارة «وولف واريور 2»، الصيني أيضاً، الذي عُرض عام 2017. ونقل التقرير عن منصّة «ماويان»، المتخصّصة ببيع التذاكر، قولها إنّ إيرادات الـ«معركة...» بلغت 5 مليارات و600 مليون يوان صيني (876 مليون دولار أميركي).

يتناول الفيلم أحد فصول الحرب الكورية، عندما تمكّن الجنود الصينيون من صدّ القوات الأميركية في كوريا الشمالية، في ظلّ صقيع قارس.

ومع أنّ زعيم كوريا الشمالية، كيم إيل سونغ، كان وراء اندلاعها، تُعرف تلك الحرب في الصين بـ«حرب مقاومة العدوان الأميركي ومساعدة كوريا». ودخلت القوات الصينية الحرب دعماً لكوريا الشمالية، التي كانت على وشك الهزيمة أمام قوات الأمم المتحدة، بقيادة الولايات المتحدة الأميركية.

وبينما تشهد العلاقات بين الصين والولايات المتحدة توتّراً مُتجدّداً، «يُشجّع نظام الرئيس شي جينبينغ الأعمال الوطنية».

وينصّ قانون أُقِرّ عام 2018 على عقوبة السجن «على كلّ من يُسيء إلى الأبطال الثوريين». هكذا أوقفت السلطات صحافياً، بعد أيام قليلة من إطلاق العروض التجارية للفيلم، بعد تساؤله عبر شبكات التواصل الاجتماعي «عن جدوى التدخّل الصيني في كوريا»، الذي أدّى إلى سقوط 200 ألف قتيل، بحسب بكين، بينما يؤكّد الأميركيون أنّ العدد أكبر بكثير. إذْ كتب رئيس التحرير السابق لمجلة «كايجينغ»، لوه تشانغبينغ، الذي اشتهر بإثارته قضايا الفساد: «بعد أكثر من نصف قرن، لم يبدأ الصينيون التفكير في مبرّرات هذه الحرب».

وأوضحت شرطة «هاينان» أنّ تشانغبينغ (40 عاماً) أوقف بتهمة «الإساءة إلى سمعة الأبطال والشهداء وشرفهم». وفي حال إدانته، يمكن أن يُعاقب بالسجن 3 أعوام.

يُذكر أنّ الأفلام الصينية تُشكّل الغالبية الساحقة من الأفلام المعروضة في صالات السينما في الصين، بينما يقتصر عدد الأفلام الأجنبية، المسموح بعرضها سنوياً، على 34، «يتمّ اختيارها بعناية».